مجلة البحوث السياسية و الادارية

JPAR

2017./ Vol. 06, N°02

E-ISSN : 2602-6104

University of Djelfa Algeria

Available online at http://www.asjp.cerist.dz

ما بعد الحوار الأمني – الحوار الثقافي والحضاري كمقاربة وقائية للأمن الأورومتوسطي

الدكتور: فاتح النور رحموني

جامعة : محمد بوضياف - المسيلة

كلية : الحقوق والعلوم السياسية

قسم: العلوم السياسية والعلاقات الدولية

ملخص:

شكل الجانب الأمني محور وجوهر العلاقات الأورومتوسطية، فقد ركزت أوروبا منذ انطلاق أولى جولات الحوار الأمني على تسخير كل الامكانيات المتاحة لاحتواء مختلف التهديدات الأمنية القادمة من الجنوب، فاعتمدت منذ سنوات السبعينات الى غاية أحداث 11 سبتمبر 2001 على الوسائل العسكرية بشكل مكثف لمواجهة هذه التهديدات الأمنية بالتعاون مع شركائها في الجنوب، غير أنها تأكدت بعد أحداث 11 سبتمبر بأن الوسائل العسكرية أصبحت غير مجدية للقضاء على هذه التهديدات، وبفضل جهود بعض منظمات المجتمع المدني مثل مؤسسة أناليند لحوار الثقافات والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، قامت بتصحيح مسار الحوار الأمني ليأخذ طابع الحوار الثقافي والحضاري كمقاربة بديلة لاحتواء هذه التهديدات الأمنية، وذلك اعتبارا الى أن هذه التهديدات تتطلب سياسات وقائية استباقية وليست سياسات علاجية بعدية.

غير أن هذا الشكل من التعامل مع مختلف التهديدات الأمنية خاصة ظاهرتي التطرف والارهاب والهجرة غير الشرعية، والذي تم بمنطق المواجهة العسكرية، أو بالأحرى مواجهة المسائل الأمنية عموما في اطار الاستراتيجية الأورومتوسطية بالأدوات والوسائل العسكرية، في عمليات مثل دعم القدرات العسكرية المشتركة وتكثيف الرقابة الأمنية الحدودية أو التعاون الاستخباراتي وغيرها من الاجراءات الأمنية التقليدية، لم يحقق في النهاية الأهداف المنشودة. فقد أكدت بعض الدراسات على عدم جدوى الاجراءات العسكرية في محاربة الارهاب، ففي هذا الاطار أجرت مؤسسة راند RAND الأمريكية في جويلية 2008 دراسة بعنوان: "كيف تنتهي الجماعات الإرهابية"، حيث اعتمدت على دراسة نشاط 648 جماعة إرهابية في الفترة الممتدة من 1998 الى 2006 خلصت إلى مايلي:[iii]

- متغير السياسات غير العنيفة، حيث أن 268 جماعة إرهابية غيرت أسلوبها من استخدام العنف الى عدم استخدامه ومنه زوالها، وذلك بأعلى نسبة 43%.
- متغير وفاة زعيم الجماعة كان السبب في زوال بنسبة 40% من الجماعات الإرهابية.
- متغير قناعة الجماعات بتحقيق أهدافها بنسبة 10 % من التنظيمات زالت لهذه القناعة.
- المتغير العسكري (استخدام القوة العسكرية والحرب على الارهاب) جاء الأخير بنسبة 7 %.

وظلت حدة هذه التهديدات الأمنية خاصة الارهاب والهجرة غير الشرعية في تصاعد مستمر في ظل استخدام القوة العسكرية لمحاربتها، وهذا ما طرح اشكالية مدى جدوى هذه الوسائل المعتمدة لمحاربة هذه التهديدات، كل ذلك جعل البعض يصف الحوار الأمني الأورومتوسطي بالحوار الفاشل والغير بناء، وارجعوا ذلك بالأساس الى الفشل في بناء عناصر الثقة

مقدمة :

كانت ولا تزال مسالة الأمن ومواجهة التهديدات الأمنية في البحر الأبيض المتوسط، محور الاهتمام الأساسي للدول الأوروبية ودول الضفة الجنوبية من المتوسط، فقد أدركت أوروبا منذ سنوات السبعينات بأن أمنها واستقرارها مرتبط بأمن واستقرار دول شمال افريقيا والشرق الوسط "أمن أوروبا مرتبط ارتباطا وثيقا بالأمن والاستقرار في البحر الأبيض المتوسط"[i]، وذلك لن يتأتى بالتأكيد دون حوار أمني بناء وعلاقات تعاون وشراكة متوسطة وبعيدة المدى، غير أن الاشكال الرئيسي الذي يثار في هذا الاطار هو – ما هو مضمون هذا الحوار الأمني الأورومتوسطي؟ وهل سيعتمد على الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف الحوار؟ أم أنه يتطلب وسائل بديلة ذات بعد ثقافي وحضاري؟

الحوار الأورومتوسطي في اطار المنظور التقليدي للأمن:

على مدار عقود من الزمن قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 انحصر مضمون الحوار الأمني بين ضفتي المتوسط في اطار الأمن الصلب، أو التعامل مع مختلف التهديدات الأمنية بالوسائل العسكرية، ويعتبر مسار برشلونة الذي انطلق سنة 1994 اهم نموذج لهذا الحوار الأمني، والذي تم من خلاله رسم معالم استراتيجية جديدة للأمن في المتوسط، وطرح تصور شامل للتعاون العربي الأوروبي، وتم تأكيد هذه المساعي والأهداف في قمة "أكسن" بألمانيا في نفس السنة.[ii] وتجسد مشروع الأمن والاستقرار فعليا في مؤتمر برشلونة المنعقد في الفترة من 27 الى 28 نوفمبر 1995، وذلك على ضوء معاهدة ماسترخت.

أناليند - Anna Lindh" سنة 2005 (حيث طرحت فكرة الحوار بين الثقافات منذ بدء عملية برشلونة 1995، غير أنه لم ينتقل الى حيز التنفيذ إلا بعد عشر سنوات من خلال مؤسسة أناليند في أفريل 2005، والحوار بين الثقافات هنا آلية أساسية لحل المشاكل الأمنية جنوب المتوسط على رأسها مشكلة الارهاب باعتبار جل التهديدات الأمنية التي تهدد أوروبا مرتبطة بالعوامل الثقافية والاجتماعية لشعوب جنوب المتوسط، وتعد مؤسسة أناليند الأورومتوسطية للحوار بين الثقافات من أهم المؤسسات الأوروبية على الاطلاق، في مجال تشكيل المفاهيم الثقافية في منطقة المتوسط، من خلال تقديم برامج وأنشطة ثقافية للارتقاء بمستوى الثقافات واحترام التنوع والتقريب بين شعوب المنطقة، وتم إعلان مؤسسة أناليند بشكل رسمي كإحدى مؤسسات الاتحاد من أجل المتوسط في قمة باريس في جويلية 2008، ثم أيضا في الاجتماع الوزاري الأورومتوسطي بمرسيليا في نوفمبر 2008). وذلك من أجل تفعيل البعد الثقافي والحوار بين الثقافات، حيث تعمل على مستوى المؤسسات والحكومات من جهة وعلى المستوى الشعبي من جهة ثانية.[vi]

فمشروع حوار الحضارات أو كما يسمى حوار الثقافات والأديان، الذي عززه الاتحاد من أجل المتوسط من خلال مؤسسة أنا ليند، يعتبر خطوة هامة جداً ونقلة نوعية في مسار الحوارات الأورومتوسطية، تعبر عن مدى الوعي والفهم الأوروبي لإشكالية التواصل والتعارض الثقافي والديني بينهم وبين شركائهم في المتوسط من المسلمين. وهذا الانتقال النوعي في شكل ومضمون الحوار عبرت عنه الدكتورة "**نادية محمود مصطفى**" بأنه عملية ربط بين الأبعاد الثقافية " **القوة الرخوة**"، مع نظائرها من الأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية "**القوة الصلدة**"، وكانت ساحة العالم الاسلامي بما فيها المتوسط، ساحة قدمت العديد من الأدلة على هذا بين أطراف الحوار من الضفتين الشمالية والجنوبية، والناتج بدوره عن عدم اعطاء قيمة كبيرة في هذا الحوار لعناصر الاشتراك والتلاقي بين الضفتين، والمتمثلة في المقومات الثقافية والحضارية على حساب الجوانب السياسية والأمنية. ان الفشل في دعم المقومات الثقافية والحضارية، انعكس عنه اتساع دائرة العداء والعنصرية بين شعوب حوض المتوسط، حيث أن الأقليات المسلمة في أوربا أضحت تتعرض لكل أنواع العنصرية والاقصاء، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، وهو ما انعكس حتى على المستوى الرسمي، في غياب اطار مشترك وواضح للأمن والاستقرار في المنطقة.

الطروحات البديلة للأمن الأورومتوسطي- الوصول الى الأمن عبر الحوار الثقافي الحضاري

لقد اقتنع الأوروبيون بضرورة الحوار الثقافي والحضاري كوسيلة أساسية لتجاوز العداء مع شعوب جنوب المتوسط، واتضح ذلك خاصة بعد سنة 2003 اثر الغزو الأمريكي للعراق خارج الشرعية الدولية، وأن الاعتماد على القوة العسكرية لحل بعض المسائل الأمنية مثل الارهاب أصبح غير مجدي، حيث قال في هذا الصدد وزير الخارجية الفرنسي السابق هوبير فيدرين: " انه لا يمكن محاربة الارهاب بالعمليات العسكرية والأمنية ولكن بالعدالة".[iv] وهذا ما تضمنته احدى توصيات التقرير النهائي للشراكة الاستراتيجية للاتحاد الأوروبي مع منطقتي البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، حيث دعت فيه الاتحاد الأوروبي الى ضرورة الحوار مع المنظمات السياسية وحركات المجتمع المدني، وكل المنظمات الملتزمة بنبذ العنف على جميع المستويات في الجنوب، وهو ما يمكن أن يفتح الباب لإمكانية تفاعل الاتحاد الأوروبي مع الجماعات الاسلامية المعتدلة التي لا تنتهج العنف والارهاب.[v] ولتجسيد ذلك عمليا تم انشاء "**مؤسسة**

- الندوة الدولية حول "**تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات من خلال مبادرات ملموسة ومستدامة**" في 2005-06-16/14 بالرباط – المغرب.
- الندوة الدولية حول "**الحضارات والثقافات الانسانية: من الحوار الى التحالف**" في 01/30 و02/01 – 2006 بتونس.
- اجتماع الاسكندرية 2007-09-11/09، لمتابعة تنفيذ وتحقيق الأهداف المنصوص عليها في القرارات الدولية والعربية والإسلامية بخصوص تعزيز ثقافة الحوار، ووضع خطة ودليل إرشادي لفتح مجال واسع للحوار بين الثقافات والحضارات، في مجال التربية والتعليم في أوروبا والعالم العربي الاسلامي انطلاقا من سنة 2009.
- المؤتمر الدولي "**قضايا الشباب في العالم الاسلامي : رهانات الحاضر وتحديات المستقبل**" 2008-11-26/24 بتونس.
- اجتماع للخبراء حول "تحسين صورة ثقافة الآخر في الكتب المدرسية، لوضع الصيغة النهائية للدليل الإرشادي، لتحسين صورة ثقافة الآخر، في الكتب المدرسية في أوروبا والعالم الإسلامي" سنة 2008 بمقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- المؤتمر الدولي حول "**حوار الحضارات والتنوع الثقافي**" في 2009-06-4/2 بالقيروان – تونس.

إن تواصل الاتحاد الأوروبي مع الاسلاميين المعتدلين في جنوب حوض البحر المتوسط وشرقه، وتطوير سبل الحوار والنقاش بينهم، سوف يترك صدى ايجابي لدى مسلمي أوروبا، فالتفاعل المباشر بين الطرفين كفيل بالقضاء على المخاوف والشكوك، ومن خلال ذلك يتفهم أيضا الاسلاميون مخاوف الأوروبيين في الطرف المقابل، فيظهروا شيء من المرونة في مواقفهم تجاه بعض القضايا.[ix]

الترابط، الذي يمكن أن نسميه معارك القلوب والعقول، التي يخوضها الغرب ضد العالم الاسلامي.[vii] ويعتبر التواصل بين الجامعات وتبادل الزيارات العلمية والثقافية للطلبة والباحثين، وعقد المؤتمرات والملتقيات العلمية في مجال حوار الثقافات والأديان، من أهم وسائل تجسيد هذا النوع من الحوار الحضاري، حيث يكون هدفها نقل صورة المنظومة القيمية الصحيحة والتعريف بالآخر، والعمل على تجاوز الأفكار المسبقة وعواطف الكراهية للآخر، ومختلف أشكال التعصب والتطرف والارهاب، سواء بالنسبة الى المنظومة القيمية الأوروبية تجاه المسلمين أو العكس، وطرح بالمقابل أفكار ومفاهيم بديلة تقوم على الاتصال والتسامح والتعاون.

وهذا ما يتطلب تجاوز الاطار الرسمي وضرورة المشاركة المدنية، وذلك من خلال المؤسسات والمنظمات الغير حكومية، ولعبت في هذا الاطار بعض المؤسسات الأخرى الى جانب مؤسسة أنالينذ لحوار الثقافات مثل:

- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- المنظمة الدولية للفرانكفونية.
- المعهد السويدي بالإسكندرية.
- المركز الدنماركي للثقافة والتنمية.

دورا مهما في هذا التواصل الدائم والعمل على التقليل قدر الامكان من حدة الصراع في المتوسط، بين المنظومة الأوروبية المسيحية والمنظومة العربية الاسلامية.

ومن بين أهم هذه المبادرات الحوارية الثقافية والحضارية التي قامت بها هذه المؤسسات والمنظمات ما يلي:[viii]

واليهودي تجاه المسلم - والمسلم أيضا تجاههما)، وهذا يعني خلق بيئة لا يمكن للتطرف أن ينمو فيها، وذلك بالقضاء على الأسباب المسببة للإرهاب وهي مقومات ودواعي ترعرع التعصب والتطرف، ويعني الوصول الى مستوى من الوعي الثقافي والفكري، يقوم على أسس التسامح والحوار بدل الاقصاء والتعصب، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال التنمية الشاملة، خاصة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فالتحالف العسكري لا يكفي لمواجهة هذه التهديدات الأمنية المعقدة والخطيرة، فالمطلوب هو تحالف ثقافي وفكري مواز لمحاصرتها وتفكيكها، لأن ما تواجهه منطقة المتوسط اليوم منبعه الأساسي فكري وثقافي، فمن خلال تطوير التعليم والتنمية الاقتصادية، وإرساء ثقافة الحوار والتآخي والاعتدال، يمكن مواجهة هذا التطرف والارهاب.[xi]

ارهاصات الحوار الثقافي والحضاري ومستقبل الأمن الأورومتوسطي

رغم التقدم الايجابي الذي حققه هذا الحوار الحضاري في السنوات الأخيرة، حيث لعب دورا مهما في نشر ثقافة الآخر، وتقليل حدة الصراع والكراهية ولو بنسب محدودة، الا أن العديد من العوائق والارهاصات تبقى ترهن مستقبل العلاقات الأورومتوسيطة، ويرجع ذلك بالأساس الى مجموعة من القضايا الخلافية العميقة المطروحة خلال جلسات الحوار، كمفهوم الاسلاموفوبيا ومعادات السامية وعلاقتها بمعاداة الصهيونية، واعادة الحقوق العربية والفلسطينية المغتصبة، ومدى سلطة رجال الدين اليهود على السياسيين الاسرائيليين وغيرها.

كما شكلت بعض الأحداث والاعتداءات الارهابية عائقا مهما للأمن الأورومتوسطي ولمسار تطور

واعتبارا الى أن قضية النزاع الاسرائيلي – العربي، تعتبر أكبر مشكلة أمنية في حوض المتوسط، وكانت أكبر عائق لتقدم مختلف أشكال التعاون والشراكة الأورومتوسطية، وفشل كل سبل التقارب في أبعادها السياسية والاقتصادية والأمنية، ظهرت فكرة البعد الثقافي والديني كمدخل لإنهاء هذا الصراع، ومنه فقد طرح مشروع الحوار الاسلامي – اليهودي بقوّة، كان من المنتظر أن يحقق ما لم تحققه أشكال الحوارات الأخرى.

وتجسد هذا الحوار الاسلامي – اليهودي في العديد من المؤتمرات تحت رعاية منظمة اليونسكو من أهمها:[x]

- مؤتمر بروكسل بتاريخ : 2005-01-6/3 ، شارك فيه مَلِكِّي بلجيكا والمغرب و110 من أكبر الأئمة المسلمين والحاخامات اليهود من 25 بلداً، وحمل المؤتمر شعار رفض ظاهرة العداء للإسلاموفوبيا والسامية، وركز على ضرورة خلق تكتل ديني قوي لمحاربة الظاهرتين ونبذ كل أشكال التطرف.
- مؤتمر اشبيلية بتاريخ: 2006-02-22/19 ، شارك فيه 220 امام وحاخام، حمل عنوان "أهمية رجال الدين ومسؤوليتهم وسلطتهم وعملهم في التربية ونشر المعرفة" ودور رجال الدين في احلال السلام والقضاء على ثقافة العنف والتطرف والارهاب.
- مؤتمر باريس بتاريخ : 2008-12-17/15، حمل عنوان "المؤتمر الثالث للأئمة والحاخامات من أجل السلام وقدسية السلام"، شارك فيه 85 من رجال الدين عبر العالم، ركز على فكرة احلال السلام ودور الأديان في إقرار السلام ونبذ العنف والارهاب.

ان الأهداف الكبرى للحوار الثقافي والحضاري هي خلق منظومة أورومتوسطية أقل تطرفا وتعصبا وكراهية للآخر (المسيحي

الأوروبية والاسلامية المتوسطية، مما انعكس عنه تغيير ملموس في مضمون سياسات هذه الدول نحو وسائل القوة الرخوة او اللينة (الثقافية والحضارية وحتى الاقتصادية التنموية)، ومنه تغيير شكل الحوار الأورومتوسطي من حوار علاجي للتهديدات الأمنية، الى حوار وقائي واحتوائي لهذه التهديدات.

قائمة المراجع:

[i] - Mustapha Benchenane , "**La Securite en Mediterranee Occidentale: Quelles Options Strategiques pour L'algerie** ? " SECURITE ET COOPERATION EN MEDITERRANEE ,Tome 2 , Alger, institute national d'etudes de strategie globale, 2001, p 05.

[ii] - جمال الشلبي، "**العرب وأوروبا من الحوار العربي الأوروبي الى الشراكة المتوسطية وجهة نظر عربية**"، منشور في كتاب بعنوان: **العرب والغرب صور متقابلة**، المملكة الهاشمية الأردنية {د.د.ن}، 2005، ص 44.

[iii] - محمد السنوسي العمراوي، "**الروابط التاريخية لدول ضفتي الصحراء وأثرها في تحقيق الأمن المغاربي**" مداخلة في المؤتمر المغاربي الدولي حول "**التهديدات الأمنية للدول المغاربية في ضوء التطورات الراهنة الرهانات والتحديات**"، بكلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة قاصدي مرباح ورقلة، يومي 28/27 فيفري 2013.

[iv] - ناظم عبد الواحد الجاسور، **تأثير الخلافات الأمريكية – الأوروبية على قضايا الأمة العربية حقبة ما بعد نهاية الحرب الباردة**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2007، ص 252.

[v] - عماد الدين شاهين ، " **الاتحاد الأوربي والاسلام السياسي : هل هناك حاجة للحوار ؟** " ، أعمال مؤتمر دولي بعنوان : **أوروبا وحوار الثقافات الأورومتوسطية نحو رؤية عربية للتفعيل**، القاهرة، برنامج حوار الحضارات بجامعة القاهرة، 2007 ، ص 102 .

[vi] - ناهد عز الدين ، " **في خبرة عملية المأسسة : المسار والدوافع والأهداف والآليات قراءة في وثائق واجراءات القمم الأوروبية** " ، أعمال مؤتمر دول بعنوان : **أوروبا وحوار الثقافات الأورومتوسطية نحو رؤية عربية للتفعيل** ، القاهرة

الحوار الثقافي والحضاري، خاصة حادثة الاعتداء على مقر صحيفة "**شارلي إبدو**" في فرنسا (اقتحام ملثمين إثنين محسوبين على الاسلاميين المتطرفين مقر الصحيفة الساخرة بالرسوم الكاريكاتورية شارلي إبدو في باريس في 7 يناير 2015، أدى هذا الهجوم إلى مقتل 12 شخصاً)، وما تلاها من عنصرية على المسلمين والعرب في أوروبا، في ظل غياب اجراءات عملية من طرف الدول الاسلامية أو الأوربية، والاكتفاء بتصريحات سياسية ودبلوماسية تستنكر مثل هذه الأعمال.

الا أن التحول المهم الذي عرفته السياسة الأوروبية عموما تجاه جنوب المتوسط منذ سنة 2008 في اطار سياسية الاتحاد من أجل المتوسط، يعبر عن مرحلة جديدة لتفعيل وتصحيح مسار برشلونة، قد يعطي ثماره على المديين المتوسط والبعيد، فقد أصبحت سياسة أوروبا في محاربة الارهاب في المتوسط تختلف عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل واضح، وأهم ما ميز هذه الفوارق بين السياستين الأوروبية والأمريكية، أن العقيدة الأوروبية الجديدة تجاه الارهاب اعتمدت بشكل أساسي على الحلول غير العسكرية (باستثناء فرنسا نسبياً) من خلال عنصرين أساسيين، اعطاء اهمية أكبر للعوامل الثقافية والحضارية من جهة، واعطاء أهمية موازية للعوامل التنموية في المجالين الاجتماعي والاقتصادي.

خاتمة

أدركت أطراف الحوار الأورومتوسطي بعد عقود من الزمن عدم جدوى اعتماد وسائل القوة الصلبة (الوسائل العسكرية) لتحقيق الأمن والاستقرار في حوض المتوسط، ولعبت في ذلك منظمات المجتمع المدني على غرار مؤسسة أنالينذ لحوار والثقافات والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة دورا أساسيا في تغيير توجه سياسات الدول المسيحية

، برنامج حوار الحضارات بجامعة القاهرة ، 2007 ، ص ص 254 -256 .

[vii] - نادية محمود مصطفى، مقدمة لندوة بعنوان: "**تعزيز ودمج الحوار في الإسلام في مناهج التعليم**"، القيروان، تونس، بتاريخ: 12-2009/10/14 ، ص 02 .

[viii] - نفس المرجع، ص ص 12 - 13 .

[ix] - عماد الدين شاهين، مرجع سابق ، ص 111.

[x] - أحمد نبيل، **"مؤتمرات اليونسكو في الحوار الاسلامي– حوار الأديان**، القاهرة، دار **اليهودي"**، ندوة علمية بعنوان: السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ط1 ، 2011 ، ص ص 123 – 135.

[xi] - ملفين نبيل ، "**الاسلام والصراع والارهاب**" ، الكتاب السنوي : **التسلح ونزع السلاح والأمن الدولي** ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2006، ص ص 244، 245.